الباب السابع

من المنتصر؟

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

المعايير الإسرائيلية للنصر أو الهزيمة

تحدث العسكريون والمحللون الإسرائيليون عن معايير النصر والهزيمة لكل من إسرائيل وحماس. فنصر إسرائيل في نظرهم مشروط بتحقيق النتائج التالية:

- إيقاف إطلاق الصواريخ ومنع حماس من العودة إلى التسلح بالصواريخ.
- القضاء على قيادة حماس.
- تحقيق إنجاز سياسي.
- تحرير جلعاد شاليط.
- وضوح من هو المنتصر.
- الحفاظ على الكرامة الإسرائيلية.

هذه هي المعايير الإسرائيلية للنصر أو الهزيمة. وهذه هي مؤشرات النجاح أو الإخفاق كما يراها العسكريون والمحللون الإسرائيليون. وفي ضوء هذه المعايير، نستطيع أن نحدد من المنتصر في هذه الحرب:

المعيار الأول

منع إطلاق الصواريخ ومنع حماس من إعادة التسلح

هذا هو المعيار الأساس للنصر، والهدف الذي من أجله شُنت هذه الحرب، يقول موشيه أرنس وزير الدفاع الصهيوني الأسبق: «إذا كان لحن النهاية قبل وقف إطلاق النار هو صوت انفجار الصواريخ التي تسقط على مدن إسرائيل، فإن هذا الأمر سيُفسر في العالم كله كأن «حماس» نجحت في هزيمة إسرائيل. فضلًا عن خطر أن تستغل حماس وقف إطلاق النار للعودة إلى التسلح بصواريخ وقذائف صاروخية مداها أبعد بكثير من تلك التي تملكها اليوم. ستسبب هزيمة ثانية كهذه ضررًا لا يمكن إصلاحه بأمن إسرائيل.

كان هنري كيسنجر هو الذي قال: «إن الجيش التقليدي يخسر إذا لم ينتصر ؛ والعصابة تنتصر إذا لم تخسر». فكل منظمة إرهابية تنجح في الثبات في مواجهة الجيش الإسرائيلي، وفي البقاء والاستمرار في مقابلة هجمات إسرائيل، ستُرى منتصرة. في المعارك الحالية في قطاع غزة سيخسر الجيش الإسرائيلي إذا لم ينتصر، وستُرى حماس منتصرة»[1].

المعيار الثاني

القضاء على قيادة حماس

يقول موشيه أرنس: «يمكن إسقاط حماس كمنظمة حرب فعالة بغير دخول غزة لمدة طويلة. يجب ببساطة أن نقتل، أو أن نأسر، أو أن نطرد عددًا كافيًا من رءوس المنظمة لكي نشُلها. عندما تمتنع إسرائيل عن عملية كهذه، تُضطر إلى اتخاذ عمليات أقل نجاعة، مثل: الحصار، والقصف، واختراق حاجز الصوت، أو عملية برية. هذه العمليات تُحدث ضررًا إنسانيًا بغير إفضاء إلى النصر. فلماذا ترفض حكومتنا الانتصار ؟!»[2].

المعيار الثالث

تحقيق إنجاز سياسي

يرى زئيف شترينهل أن الانتصار العسكري ليس هدفًا في حد ذاته ؛ وإنما النصر الحقيقي

---

(١) موشيه أرنس، لا توقفوا إطلاق النار، هاآرتس، ٧/ ١/ ٢٠٠٩.

(٢) موشيه أرنس، لا يحل لنا أن نرفض هزيمة حماس، هاآرتس، ١٤/ ١/ ٢٠٠٩.

يقاس بنتائجه السياسية، أي بجر الخصم إلى التسليم بكل ما تريده إسرائيل والقبول بمشاريعها للحل، يقول الكاتب: «لكل حرب هدف سياسي. فالانتصار العسكري ليس هدفًا بحد ذاته. كانت هناك انتصارات كبيرة انتهت بهزائم وطنية، بدءًا من هانيبال الذي أحرز في حربه ضد الرومان أحد أكبر الانتصارات، في التاريخ، وانتهاء بحرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ التي كانت انتصارًا زاهرًا تلته مصيبة تاريخية. لذلك من الجدير تذكير الجمهور بأن الانتصار يقاس بنتائجه السياسية، وأن الهدف الحقيقي هو السلام»[١].

المعيار الرابع

إطلاق جلعاد شاليط

تُعد مسألة أسر جلعاد شاليط وبقائه في الأسر حتى الآن أمرًا مُهينًا للجيش الذي لا يقهر، ومُهينًا أيضًا لأجهزة استخباراته المتعددة التي يدعون بأنها لا تغيب عنها شاردة ولا واردة، ومُهينًا أيضًا للمجتمع الإسرائيلي الذي لم يعد مستعدًا لبذل أي تضحية أو تعريض جنوده لخطر الأسر. لذا كان أمر تحريره معيارًا أساسيًّا للنصر، يقول شلومو جازيت رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الأسبق: «إن ما يتعرض لامتحان في قضية النصر سيحدده جواب سؤالين: الأول ـ وكان هذا على الأقل الهدف المعلن للعملية الإسرائيلية ـ مسألة تجديد الردع الإسرائيلي ؛ والمسألة الثانية هي مسألة إطلاق جلعاد شاليط من الأسر»[٢].

المعيار الخامس

وضوح من المنتصر في الحرب

عدم وضوح من المنتصر يصب في صالح حماس، يقول الجنرال المتقاعد يعقوب عميدرور: «في كل حالة لا تكون فيها النتيجة واضحة، سيكون المنتصر هو الأضعف أي حماس. فالصورة التي ستُعرض ـ ويتلقاها العالم والفلسطينيون ـ هي صورة انسحاب

---

(١) زئيف شترينهل، انتصار ؟ الأمر يعتمد على النتائج السياسية، هآرتس، ١٨/ ١/ ٢٠٠٩.

(٢) شلومو جازيت، إذا لم تكن شروط إطلاق جلعاد شاليط من الأسر لم تتغير فلماذا خرجت إسرائيل لعملية «الرصاص المصهور» في القطاع ؟!، معاريف، ١٩/ ٢/ ٢٠٠٩

إسرائيلي، وانتصار لحماس. فحماس بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي ستتعلم دروس الحرب، وتبلغ الحرب المقبلة وهي أكثر استعدادًا. اعلموا أنه أسهل على حماس التحسن من الجيش الإسرائيلي. والفرق بين حماس والجيش الإسرائيلي سيقل بعقب ذلك»[1].

المعيار السادس

الحفاظ على الكرامة الوطنية

يقول إسرائيل هرئيل: «خلال جلسة المجلس الوزاري، قال رئيس الوزراء أولمرت بأنه لا يجب على إسرائيل أن تتصرف وكأنها قد فقدت ما تبقى لديها من قوة واحترام.

دولة إسرائيل أُقيمت لأسباب منها إعادة الكرامة للشعب الإسرائيلي. وحتى إن لم يظهر عنصر الكرامة الوطنية من بين الأهداف التي حُددت لعملية «الرصاص المصهور»، فقد كان ـ في نظر سكان النقب المعرضين للقصف المتواصل وفي نظر عدد غير قليل من المقاتلين في الميدان وكثيرين من الجمهور الإسرائيلي ـ هدفًا معنويًّا هامًّا.

إن كان الجيش الإسرائيلي قد انتصر، فلماذا تدفع الحكومة ثمنًا لا يدفعه إلا المهزومون؟!. إن كان الأمر كذلك، فوعينا هو الذي كُوي. بينما يظهر أن وعي حماس قد بقي كما كان قبل المعركة، وربما تعزز وتقوى»[2].

* * *

(١) يعقوب عميدرور، كخيار وحيد لمواجهة حماس يجب احتلال غزة، إسرائيل اليوم، ١/ ١/ ٢٠٠٩.
(٢) إسرائيل هارئيل، حماس كوت لنا وعينا، هآرتس، ١٩/ ٢/ ٢٠٠٩.

الفصل الثاني

معايير النصر فلسطينيًّا

تختلف معايير النصر فلسطينيًّا اختلافًا كبيرًا عن معايير النصر الإسرائيلية. فالنصر لدى الفلسطينيين يقاس بمعياريين هامين هما:

- مدى صمود المقاومة والشعب الفلسطيني أمام الآلة العسكرية الإسرائيلية بدون استسلام للعدو أو رضوخ لإملاءاته.
- ويقاس أيضًا بمدى التضحية والبذل في سبيل تحقيق الأماني المشروعة للشعب الفلسطيني.

يقول عكيفا الدار: «رغم سنوات الصراع الطويلة والعدد اللا متناهي من الحروب والعمليات، لم نتعلم حقيقة أن معاييرنا للانتصار والحسم مغايرة لتلك المتبعة لدى الخصم.

رغم نسبة الدمار والضحايا فقد تكرست حرب لبنان في الوعي العربي ـ كما قال موشيه يعلون ـ كانتصار بطولي على الجيش الأقوى في الشرق الأوسط.

وبسبب كثرة الأولاد القتلى في عملية غزة الأخيرة، هناك مكانة مشرفة ومحترمة لهذا الحدث في الكفاح السامي الذي يخوضه داود الفلسطيني المسلح بالقسام البدائي ضد

obeikandl.com

جالوت الإسرائيلي المزود بطائرات إف ـ ١٦. وبنفس المقياس، لا توجد للسجان أية إمكانية لحسم المعركة عسكريًّا في الساحة الدولية والإقليمية والفلسطينية»[١].

قيادة حكيمة وقوات منضبطة

بينما كانت القيادة السياسية الإسرائيلية متخبطة ومنقسمة على نفسها وتسيرها مصالحها الخاصة، وظهر هذا الانقسام على وسائل الإعلام في بدايات الحرب، قيادة استحقت عن جدارة وصف أنتوني كوردسمان «أسود تقودها حمير» ؛ أثبتت قيادة حماس صمودًا وحكمة في إدارة المعركة، يقول عاموس هرئيل: «أربعة أيام لحملة رصاص مصهور، وإذا بالشقوق الأولى في الإجماع في القيادة الإسرائيلية حول سير الحملة تظهر ملموسة أمس. ويغذي الخلاف النفورُ العميق بين معظم اللاعبين في القيادة الإسرائيلية، المنافسة الكامنة على أصوات المقترعين، وكذا الكثير من الاضطراب في عملية اتخاذ القرارات، بالضبط من النوع الذي وُعد بأن يختفي نهائيًّا بعد حرب لبنان الثانية وتقرير فينوجراد.

في هذه الأثناء، تنجح حماس في أن تثبت قدرات عسكرية لا بأس بها. القصف الإسرائيلي يبدو أحيانًا كتنفيس، بينما تواصل حماس إطلاق الصواريخ. حماس لا تطلق كل ترسانة الصواريخ التي في حوزتها، ورجال الذراع العسكري يظهرون انضباطا عمليا تيًّا. سكان في القطاع طرحوا علامات استفهام حول الحملة الإسرائيلية. «ما الذي بالضبط نجحت إسرائيل في تحقيقه ؟ الكثير من القتلى، الكثير من المباني المهدمة، وحماس لا تزال تقف على أقدامها. سياسيًّا، هي أقوى من أي وقت مضى»[٢].

هل يقاس النصر أو الهزيمة بعدد القتلى !!

يعتبر البعض أن سقوط ألف وأربعمائة شهيد فلسطيني هو مؤشر على خسارة حماس، ويحملها مسئولية سقوط هذا الدم الفلسطيني. وهنا لا بد أن نقرأ التاريخ الذي يقرأه عدونا ويستفيد منه، بينما نهمله نحن، أو نتناسى دروسه. لنقرأ معا مقال الكاتب الإسرائيلي يائير

(١) عكيفا الدار، الحرب في غزة رسخت مكانة حماس بخلاف ما يدعيه قادة إسرائيل، هاآرتس، ٢/ ٢/ ٢٠٠٩.
(٢) عاموس هرئيل وآخرون، خلاف في القيادة: باراك يقترح توقف ليومين، هاآرتس، ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٨..

تسبان «هل يتذكر باراك الجزائر»، والذي يقول فيه: «في ديسمبر (كانون الأول) ديسمبر ٢٠٠٠، في أواخر حكم إيهود باراك، دعاني رئيس الحكومة إلى منزله لمحادثة.

عندما رأيت على الطاولة كتاب المؤرخ البريطاني أليستر هورن «حرب وحشية للسلام: حرب الجزائر ١٩٥٤ـ١٩٦٢»، نبهت إلى أنه من الواجب على كل سياسي إسرائيلي أن يقرأه. وافقني باراك وأضاف: مع كل الاختلاف بين النزاعين، النزاع الجزائري هو الأشبه بنزاعنا مع الفلسطينيين.

أجل لا يوجد تماثل بين النزاعين. وبرغم ذلك توجد نقط تماس. في ديسمبر (كانون الثاني) ١٩٥٢ ـ عقب هجمات فتاكة لخلايا من جيش حركة التحرير الجزائرية خرجت من قواعدها على الحدود التونسية ـ قصف سلاح الجو الفرنسي القرية التونسية «ساكيت» التي تقع على أطرافها قاعدة حركة التحرير الجزائرية. أصاب القصف مستشفى ومدرسة، وأحدث عشرات القتلى ومئات الجرحى منهم نساء وأولاد، واهتاج الرأي العام العالمي.

بشرت قضية ساكيت بنهاية الجمهورية الرابعة. في الأول من يونيو (حزيران) ١٩٥٨، أصبح شارل ديجول رئيسًا لفرنسا. أعلن مع توليه السلطة «تحيا الجزائر فرنسية». وكانت سمة السنين الأربعة التالية لهذا التصريح تراجعًا شديد الألم لديجول عن مبدأ «فرنسة» الجزائر، إلى إعلانه الاعتراف بحق الجزائريين في تقرير المصير في سبتمبر (أيلول) ١٩٥٩، الذي صدر بعد هجوم فرنسي متصل كانت نسبة الضحايا فيه ١٠:١ لصالح الفرنسيين.

كان مطلب ديجول البدء وقف إطلاق نار متصل، وبعده فقط التفاوض السياسي في الاستقلال. رفضت حركة التحرير الجزائرية، وطلبت تفاوضًا تأليفيًا. لم يثُر في بال القيادة الفرنسية أنه بعد الضربات الفظيعة التي حلت بالشعب الجزائري عامة ـ وبحركة تحرير الجزائر خاصة ـ أن يستمر تصميم الجزائريين على رفض المقترحات.

في نهاية ١٩٦٠، بلغ عدد القتلى الجزائريين مئات الآلاف: من ٣٠٠ ـ ٥٠٠ ألف بحسب أقوال فرنسية، ونحو مليون بحسب الرواية الجزائرية. وكذلك كان ميزان خسائر حركة التحرير الجزائرية فظيعًا: فمن بين خمسة وأربعين ألف مقاتل، قُتل ستة وعشرون ألفًا، ووقع أحد عشر ألفًا في الأسر. وسقط ١٩٦ ,٢٣ قتيلًا من فرنسا في حرب الجزائر.

في بدء سنة ١٩٦١، بدأت مفاوضات سرية بين مفوض ديجول ومفوض حركة التحرير. في البداية، تخلى ديجول عن شرط وقف إطلاق النار. وكان مستعدًا أيضًا لمواجهة الجيش، وأن يفرض عليه وقف إطلاق النار من طرف واحد، وأن يحرر آلاف من حركة التحرير.

وكان ما حصل عليه من الجزائريين هو الاستعداد للمحادثة. في مارس (آذار) ١٩٦٢، وُقع اتفاق السلام الذي ضمن استقلال الجزائر.

برغم الفروق بين النزاعين لا يمكن أن نتجاهل التشابه، ولا سيما في كل ما يتصل بحدود القوة العسكرية أو عمى القادة. يحسُن أن تكون هذه الذكريات مادة للتفكير ها هنا»[١].

* * *

(١) يائير تسبان، هل يتذكر باراك الجزائر، هاآرتس، ٨/ ١/ ٢٠٠٩.

obeikandl.com

الفصل الثالث

اعترافات إسرائيلية بالإخفاق والفشل

على الرغم من أن حملة الرصاص المصهور هي «الحملة الأكبر في تاريخ الجيش الإسرائيلي»[1]، وهي «العملية الأكثر تخطيطًا في حروب إسرائيل»[2] ؛ إلا أنه يسود إسرائيل شعور عام ـ على مستوى الساسة والمحللين والعسكريين السابقين ـ بفشل هذه الحرب فشلًا ذريعًا في تحقيق أهدافها. كما يرون أيضًا أن «حماس» خرجت من هذه الحرب بمكاسب سياسية مهمة، واستعادت قدرتها على تنمية إمكاناتها العسكرية، وترسيخ مشروعها المقاوم أمام نهج التسوية والاستسلام الذي يقوده فريق رام الله. وهذه بعض تعليقاتهم:

أبهظ ثمن

«ميزان هذه الحرب من جهة إسرائيل لا يتلخص فى عدم أي إنجاز فقط. فالحديث عن أبهظ ثمن جُبِيَ دُفع وسيدفع بعد. فقد سببت أعمال إسرائيل أضرارًا بالغة بتأييد الرأي العام لنا. في الحقيقة إن هذا لا يترجم دائمًا للغة السياسية المباشرة، لكن الأمواج الارتدادية ستأتي.

في العالم كله رأوا الصور، وقد زعزعت كل إنسان ؛ وإن لم تزعزع أكثر الإسرائيليين. والاستنتاج هو أن إسرائيل دولة عنيفة وخطرة، لا يوقفها شيء، ولا يكبح جماحها شيء،

(١) ناحوم برنياع، أولمرت: حققنا ما أردنا، يديعوت، ١٨/ ١/ ٢٠٠٩.
(٢) يحزقيل دور، لماذا فشلنا في غزة، هاآرتس، ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٩.

تتجاهل بفظاظة قرارات مجلس الأمن، وتستخف بالقانون الدولي ؛ والتحقيقات في الطريق»[1].

خسارة صافية

يرى المفكر الإستراتيجي الإسرائيلي يحزقيل دور عضو لجنة فينوجراد أن سبب فشل إسرائيل في غزة هو غياب التداخل والمزج بين الرؤية السياسية والرؤية الأمنية للحرب، فيقول: «درس مهم من حرب لبنان الثانية هو ضرورة وجود رؤية سياسية أمنية متداخلة تكون فيها وزارة الخارجية شريكًا كاملًا في القرارات الأمنية والعسكرية. هناك إنجازات سياسية من أجلها يكون من المجدي لإسرائيل أن تتعرض لضربة شديدة في صورتها، إذا لم يكن هناك سبيل آخر. هذا لم يكن على نحو ظاهر الوضع في «رصاص مصهور».

لا مفر من الاستنتاج الأليم في أن «رصاص مصهور» كررت الأخطاء الجسيمة لحرب لبنان الثانية، والتي شددت عليها لجنة فينوجراد وأهمها «المراوحة في المكان». إسرائيل لم توقف العملية بعد بضعة أيام ولم تستخدم المرحلة الإضافية لاحتلال أهم ما في غزة. النتيجة هي إنجاز محدود بتكلفة زائدة، أي خسارة صافية»[2].

نتنياهو: المهمة في غزة لم تُستكمل

في تصريحات مهمة لنتنياهو قبل توليه رئاسة الوزراء قال فيها: «المهمة في غزة لم تُستكمل. حكومة برئاستي سيتعين عليها أن تصدر التعليمات لاستكمال المهمة. هذا موضوع عزة ذاتية. بعد أن تعود إلينا العزة الذاتية، وإلا سيكون هنا تآكل لقوة ردعنا»[3].

الصحوة من سكرة القوة

تحت هذا العنوان علقت هاآرتس على نتائج حرب الرصاص المصهور، فقالت: «لقد انطلقت إسرائيل إلى الحملة في غزة في ظروف سياسية مريحة لا مثيل لها، ردا على إعلان

(١) جدعون ليفي، فشل وثكل، هاآرتس، ٢٢/ ١/ ٢٠٠٩.
(٢) يحزقيل دور، لماذا فشلنا في غزة؟، هاآرتس، ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٩.
(٣) شلومو تسزنا، بنيامين نتنياهو: سنضطر إلى استكمال المهمة في قطاع غزة، إسرائيل اليوم، ٢/ ٢/ ٢٠٠٩.

حماس إنهاء التهدئة، والذي ترافق مع استئناف نار الصواريخ. وساندت الأسرة الدولية في البداية العملية الإسرائيلية، التي عُرضت كرد على الإرهاب. ولكن إصرار الحكومة على مواصلة الحملة على مدى ثلاثة أسابيع، وإحداث قتل ودمار بحجوم هائلة في غزة:

- نزع المبرر عن العملية.
- وألحق ضررًا ملموسًا بالمكانة الدولية لإسرائيل.
- ما بدأ كحرب عادلة يبدو اليوم كانقضاض وحشي على سكان عديمي الحماية.
- العزلة المتعاظمة لإسرائيل تبدو من كل حدب وصوب.
- العالم العربي عاصف بسبب صور الأطفال القتلى والمنازل المهدمة في غزة.
- العلاقات مع تركيا في أزمة.
- مرة أخرى تنطلق الدعوات لتقديم ضباط الجيش الإسرائيلي والسياسيين الإسرائيليين إلى المحاكمة بتهمة جرائم ضد الإنسانية.
- فرنسا تتهم إسرائيل بوضع المصاعب في وجه أعمال الترميم في غزة.
- كما أن «النصر» و «ترميم الردع»، اللذين تباهى بهما زعماء الدولة في نهاية الحملة موضع شك حين تتواصل النار من غزة.
- وحماس تحظى باعتراف متعاظم في العالم»[1].

حماس لم تُهزم

تحت هذا العنوان يقارن سيفر بلوتسكر بين حربي يوليو (تموز) ٢٠٠٦ وحرب غزة ٢٠٠٨، واختلاف النظرة الإسرائيلية عن النظرة الدولية حول من المنتصر في هاتين الحربين؟ فيقول: «في ختام حرب لبنان الثانية خضت تجربة كررت نفسها ـ ولكن بالعكس ـ في هذه الأيام. سافرت في حينه بتكليف من الصحيفة إلى أوروبا وإلى الولايات المتحدة، وسمعت من كل صوب أُناسا يهنئوننا على انتصارنا في حرب لبنان. هكذا في المحادثات الخاصة، وكذا في التحليلات المنمقة في وسائل الإعلام. الرأي العام في الغرب

(١) أسرة التحرير، الصحوة من سكرة القوة، هآرتس، ١/ ٢/ ٢٠٠٩.

كان: أنه وإن كانت إسرائيل من الناحية العسكرية لم تُنه المهمة ؛ ولكنّ جملة إنجازاتها في حرب لبنان مثيرة جدًّا للانطباع:

- حزب الله تلقى ضربة شديدة، ووعيه كُوي لسنوات طويلة.
- الأمم المتحدة اتخذت قرارات مثلما أرادت إسرائيل.
- في الحدود اللبنانية يرابط جيش لبناني ودولي.

هذا التقدير الغريب في أن إسرائيل انتصرت نصرًا عظيمًا في حرب لبنان الثانية، تناقض تمامًا مع إحساس الإحباط، والاستياء، والخجل الذي ساد البلاد في حينه.

والآن أيضًا، في سفريتي الأخيرة أُصبت بصدمة عميقة. من اللقاءات، ومن المحادثات، ومن المحاضرات، ومن الإنصات لوسائل الإعلام صعد صوت واضح واحد يختلف جوهريًّا عن الصوت الذي أُطلق في البلاد «إسرائيل خسرت الحرب في غزة خسارة فادحة»:

- إسرائيل لم تكسر «حماس».
- ولم تخفف نفوذها.
- وفشلت في المساعي الإعلامية لعرضها كحركة تُعرِّض السلام العالمي للخطر ـ الأمر الذي نجحت حقًّا في فعله لحزب الله.

الصحيفة الأمريكية وول ستريت جورنال ـ إحدى الصحف الأكثر تأييدًا لإسرائيل ـ نشرت تقريرًا كبيرًا يشرح:

- كيف عززت إسرائيلُ «حماس» ؟
- كيف جعلتها جهة سائدة في الساحة الفلسطينية ؟ كيف خرجت حماس من القتال في غزة ويدها هي الأعلى ؟
- ولماذا كنتيجة لذلك ستكون إسرائيل ملزمة رغم أنفها بالتسليم بدولة حماس في كل السلطة الفلسطينية؟

حتى في أوساط الطائفة اليهودية في نيويورك سمعت المرة تلو الأخرى السؤال الهازئ: هل إسرائيل خرجت إلى الحرب ضد حكم حماس ؛ أم ضد إدارة الولايات المتحدة ؟ إذ إن إسرائيل أخضعت الإدارة الأمريكية وأجبرتها على التوقيع على مذكرة تفاهم لمكافحة تهريب السلاح إلى قطاع غزة ؛ ولكن حكم حماس نفسه: .

- لم يُهزم.
- لم يُصف.
- لم ينزل إلى ركبتيه.
- بل، ولم يتعهد بالحد الأدنى المتوقع من منظمة مهزومة. فقد نجا، وهو يرفس ويطرح شروطًا.

عدت من لقاءاتي في المنفى وقد تلقيت درسًا: في الوقت الذي حققت حرب لبنان الثانية ـ الفاشلة في الإحساس الإسرائيلي ـ نزعًا شاملًا لشرعية حزب الله ؛ فإن حرب غزة ـ الناجحة في الإحساس الإسرائيلي ـ منحت شرعية لحماس.

فقط رجل واحد لا يزال يمنع الحكومات في الغرب من فتح حوار مباشر مع حماس التي لم تُهزم. اسمه باراك أوباما. ولكن حتى متى ؟!»[1].

* * *

(١) سيفر بلوتسكر، حماس لم تُهزم، يديعوت، ٢٧/ ١/ ٢٠٠٩.

الفصل الرابع

تهاوي الردع الإسرائيلي

الردع هو «المنع من القيام بعمل نتيجة للخوف من العواقب»[1]. وهو في حالة الصراع بين إسرائيل والمقاومة: هو منع الفلسطينيين من إرادة المقاومة، أو القدرة على المقاومة.

ولقد فشلت حرب الرصاص المصهور فشلًا ذريعًا في تحقيق أهداف إسرائيل من الردع، وكي الوعي الفلسطيني، ومنع المقاومة من إطلاق الصواريخ، أو استئناف تهريب السلاح عبر الأنفاق أو عبر البحر، وهذا ما يعترف به المحللون والساسة الإسرائيليون أنفسهم:

من المحتمل أن نكون قد ردعنا أنفسنا فقط

تحت هذا العنوان كتب ناحوم برنياع قائلًا: «استعدنا الردع، قال الجميع والأصح قلنا جميعًا، من سكان سديروت وعسقلان حتى كاتب هذه السطور ؛ ولكننا لم نُعبر في قولنا هذا إلا عن الأماني. على أية حال نحن لم نردع حماس. أحد قادة أجهزة الدفاع قال لي في هذا الأسبوع : من المحتمل أن نكون قد ردعنا أنفسنا فقط»[2].

(١) صموئيل بار، التجربة الإسرائيلية في ردع المنظمات الإرهابية، مصدر سابق، ص ٨.
(٢) ناحوم برنياع، من المحتمل أن نكون قد ردعنا أنفسنا فقط، يديعوت، ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٩.

تهديدات عقيمة وسخيفة

تحت هذا العنوان، قالت هاآرتس: «بينما تستمر نار القسام على بلدات الجنوب ـ وكأنه لم تكن هناك حرب لوضع حد لها ـ كرر أمس رئيس الوزراء إيهود أولمرت تهديده على حماس، وكأنه يوجد لتهديداته أي مفعول، وكأننا لم نوجع ولم نمس بما فيه الكفاية بسكان غزة دون جدوى»[1].

إسرائيل مرة أخرى محل السخرية والاستهزاء

الوزير الإسرائيلي حاييم رامون أبدى بعض الاعتراضات على خطة حرب غزة، يقول بن كاسبيت: «في جلسة المجلس الأمني المصغر الذي أجيزت فيه عملية دخول غزة في حرب الرصاص المصهور، الوزير حاييم رامون ـ الذي امتنع عن التصويت ـ قال: إن ما أثار غضبه أهداف العملية. هل هو تغيير الواقع الأمني جنوبي البلاد ؟ أمن أجل هذا تدخلون غزة؟، يمكن فعل هذا بعملية جوية. من أجل ماذا إذن الدخول ؟ أمن أجل تعريض حياة الجنود إلى الخطر ؟ لماذا يجب علينا قبول دولة حماس قرب مدخل عسقلان ؟ إن العالم كله ولا سيما العالم العربي يجلس وينتظر منا أن نُطيّر حماس من هنا.

تخيلوا أنه في نهاية هذه العملية كل الجيش الإسرائيلي الكبير وسلاح الجو وتجنيد الاحتياط، يخرج وتبقى دولة حماس هنالك كأنه لم يوجد شيء. ستكون إسرائيل مرة أخرى محلًا للسخرية والاستهزاء.

توجد عندنا الآن فرصة قد لا تتكرر لتوجيه ضربة ساحقة إلى محور الشر الذي يحدق بنا. أن نوقف مسيرة نصرهم. ألسنا نستطيع ؟ قولوا لي في وجهي، ألا نستطيع ؟ ألا يستطيع الجيش الإسرائيلي أن يهزم حماس ؟ إنها منظمة قذرة، في أسفل الهرم، وهم يستغلون صدماتنا النفسية ليسخروا منا في وجوهنا. هذا فظيع. ولا يُتصور»[2].

هذيان ردع حماس

تحت هذا العنوان كتب وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق موشيه أرنس مقالًا يفند فيه

---

(١) أسرة التحرير، تهديدات عقيمة وسخيفة، هاآرتس، ٢/ ٣/ ٢٠٠٩.

(٢) بن كاسبيت، وجهات نظر الساسة الإسرائيليين الكبار بالنظر إلى الحرب، معاريف، ٩/ ١/ ٢٠٠٩

مزاعم وزيرة الخارجية الإسرائيلية حول ترميم قدرة الردع الإسرائيلية، يقول: «وزيرة الخارجية الساذجة تسيبي ليفني لم تكن الوحيدة التي أعلنت بأن الحملة في غزة رممت قدرة الردع الإسرائيلية. سياسيون كثيرون هنا يتفقون معها.

فكرة الردع قد تكون صحيحة عندما يدور الحديث عن إحدى جارات إسرائيل ؛ ولكن ردع منظمة إرهابية هو موضوع آخر تمامًا. إذا ما تقرر وقف للنار قبل أن تُصفى قدرة حماس على إطلاق الصواريخ، فستُعتبر المنظمة منتصرة. وعليه، فإن فكرة ردع حماس فكرة هاذية. حماس يجب هزيمتها. والهزيمة معناها تصفية قدرة المنظمة على إطلاق الصواريخ نحو إسرائيل. وهذا يعني: أن على الجيش الإسرائيلي أن يصل إلى المناطق التي تُطلق منها الصواريخ. عندما لا تسقط المزيد من الصواريخ في إسرائيل، سيكون واضحًا من انتصر في المعركة»[1].

مكاسب إستراتيجية وتكتيكية للمقاومة

حققت المقاومة الفلسطينية الباسلة في حرب الرصاص المصهور مكاسب مهمة على المستوى التكتيكي والاستراتيجي، وكلها تعني تهاوي الردع الإسرائيلي:

إفشال سياسة تجريد المقاومة من السلاح

«الترتيبات الأمنية في سيناء كانت تقوم على أساس تجريد شبه الجزيرة من السلاح وتقسيمها إلى ثلاثة مقاطع، في كل واحد منها يُسمح للجيش المصري بأن يحتفظ بقوات قليلة فقط. هذا الانتشار يلبي الاحتياجات الأمنية لإسرائيل.

منذئذ، يُعتبر «مبدأ التجريد من السلاح» مدماكًا أساسيًّا في التخطيطات الإسرائيلية للتسويات السلمية المحتملة مع باقي جيرانها، وهو يعتبر شرطًا مفهومًا من تلقاء نفسه في اتفاقيات السلام المستقبلية.

ختام حملة «رصاص مصهور» يدل على أن مبدأ التجريد ليس قابلًا للتطبيق في العلاقات بين إسرائيل والفلسطينيين. موقف حماس يقرر عمليًّا أن الفهم الإسرائيلي بشأن تجريد مناطق الضفة ومناطق غزة من السلاح هو أضغاث أحلام.

---

(١) موشيه أرنس، هذيان ردع حماس، هآرتس، ١٤/ ١/ ٢٠٠٩.

استعداد القيادة الفلسطينية في عهد أوسلو لقبول المطالب الإسرائيلية للتجريد من السلاح يتبدد، ويحتل مكانه نهج حماس»[1].

ضرب أسس نظرية الأمن الإسرائيلي

أثبتت الصواريخ الفلسطينية فشل السياسة الأمنية الإسرائيلية التي تقوم على نقل الحرب إلى أرض الغير، ومنع استهداف الداخل الإسرائيلي، وضرورة أن تكون الحرب حربًا خاطفة حتى لا تتحول إلى حرب استنزاف. كما أفشلت أيضًا نهج إسرائيل في التسوية القائم على التوسع والاحتفاظ بالأراضي العربية لحماية الداخل الإسرائيلي، يقول يوئيل ماركوس: «مهما كان الشكل الذي تنتهي إليه حملة رصاص مصهور، فإن الدرس الجانبي المهم من الحملة هو أن الموضوع الإقليمي بات أقل أهمية كشرط أساسي للتسوية. اليوم، عندما يكون بوسع الصواريخ أن تصل إلى ذات الهدف من الشمال ومن الجنوب، من مسافة عشرات الكيلومترات، فإن الخطر الذي في التنازل عن هذا التل أو ذاك بسبب اقترابه من المطار مثلًا، لم يعد كبيرًا.

كل الموضوع الإقليمي فقد أهميته. وموضوع الاحتفاظ بالمناطق ـ وتأثيره على التسوية السياسية ـ بات ينتمي أكثر فأكثر إلى الماضي. كيلومتر هنا أو كيلومتر هناك، هذا ينتمي فجأة إلى القرن الماضي في عصر الصواريخ. وعلى وزن الفيلم الأمريكي الشهير «يا حلو، الأطفال تقلصوا» يمكن أن نقول: «يا حلو، الكيلومترات تقلصت»[2].

توسيع رقعة الأرض المستهدفة بصواريخ المقاومة

«عندما ستتبدد أعمدة الدخان في الجنوب سيتعين علينا أن نصحو لنسأل أنفسنا: ماذا حصل لنا؟! كيف اقتنت حماس القدرة على تشويش الحياة في ثلث الدولة وإدخال مليون إسرائيلي إلى الملاجئ؟!»[3].

استمرار التهريب وتسلح حماس

في تصريحات ليوفال ديسكن رئيس جهاز الشاباك الإسرائيلي أمام أعضاء لجنة الخارجية

(١) عوزي بنزيمان، منطقة مجردة من السلاح دون إعلان، معاريف، ٢٩/ ١/ ٢٠٠٩.
(٢) يوئيل ماركوس، يا حلو: الكيلومترات تقلصت، هآرتس، ٢/ ١/ ٢٠٠٩.
(٣) يوفال شتاينتس، التجريد المفقود، هآرتس، ١٢/ ١/ ٢٠٠٩.

والأمن في الكنيست، قال فيها: «حماس والمنظمات تعمل بنشاط على إعادة بناء منظومتها العسكرية، التي تضررت في أثناء حملة «رصاص مصهور». المقاومون في القطاع يحاولون أن يجلبوا طوال الوقت سلاحًا صاروخيًّا أدق لمسافة تفوق ٤٥ كيلومترًا، الأمر الذي يتيح لهم ضرب مدن جوش دان[١]. تحت حدود القطاع مع مصر يعمل أكثر من ثلاثمائة نفق، عبرها يُهرب الفلسطينيون البضائع والوسائل القتالية»[٢]. «بعض الأنفاق تم توسيعها بشكل يسمح بتمرير تراكتورات صغيرة عبرها»[٣].

«تسريع التهريب سمح على ما يبدو لحماس بالتزود بكميات كبيرة نسبيًّا مما يصفه الجيش الإسرائيلي بأنه «سلاح خارق للتوازن»: صواريخ بعيدة المدى، صواريخ متطورة ضد الدبابات، وحسب الاشتباه صواريخ مضادة للطائرات أيضًا. وإضافة إلى ذلك، نجحت حماس في زيادة مدى الصواريخ من إنتاج ذاتي ـ القسام على أنواعه ـ من خلال مساعدة علمية وتكنولوجية من إيران، تلك الصواريخ التي تتجاوز الأنواع البعيدة منها حاجز العشرين كيلومترًا»[٤].

ولقد « شددت حماس في الآونة الأخيرة من تهريب السلاح عبر البحر. وحسب زعم محافل أمن فلسطينية، فإن سفن التهريب ترسو في المياه الدولية، وتلقي إلى البحر بصناديق كبيرة مليئة بالسلاح. بعض هذه الصناديق يصل إلى الشاطئ، وأخرى تُجتذب من قلب البحر إلى سفن الصيادين الغزيين. لا يوجد هنا مجال للصدفة، فهم يعرفون بالضبط أين يُلقون الصناديق، وإلى أين ستصل حسب التيارات المائية»[٥].

إسرائيل ومحاولة الحماية من التهديد الصاروخي الفلسطيني

تسعى إسرائيل إلى درء خطر التهديد الصاروخي الفلسطيني عبر منظومات الحماية الصاروخية ضد القذائف والصورايخ قصيرة المدى، وعبر منع التهريب عبر مسالكه

(١) أي منطقة تل أبيب.

(٢) جدعون ألون، رئيس المخابرات: يجب إسقاط حكم حماس، إسرائيل اليوم، ٢٠/ ٥/ ٢٠٠٩.

(٣) عاموس هرئيل، غزة بعد «رصاص مصهور»: حماس تتسلح بصواريخ بعيدة المدى وبصواريخ مضادة للطائرات، هآرتس، ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) عميت كوهين، حماس تشدد التهريب من البحر.. التخوف: سلاح «خارق للتوازن» في قطاع غزة.. مسار التهريب الجديد لحماس، معاريف، ١٩/ ٤/ ٢٠٠٩.

ودروبه المختلفة. فلقد «أمر وزير الحرب إيهود باراك جهاز الأمن بشراء منظومة إسقاط صواريخ وردع «فالكان فلينكس» من الولايات المتحدة لتُستخدم للدفاع عن بلدات الجنوب ضد نار قذائف الهاون والمقذوفات الصاروخية قصيرة المدى. وقال باراك : إنها ستكون جزءًا من منظومة دفاعية متعددة الطبقات لإسقاط الصواريخ. مثل هذا الدفاع هو هدف إستراتيجي. الهدف هو خلق وضع نُسقط فيه أكبر قدر من الصواريخ الكثيرة التي تُطلَق نحونا. إسرائيل تسعى إلى بناء منظومة دفاعية ضد الصواريخ وإسقاطها تتشكل من عدة شرائح: «فالكان» الذي سينصب في خط الدفاع الأول. و«قبة حديدية» التي توجد في عملية التطوير في رفائيل، ومنظومة «شربيت قسميم» التي تطورها رفائيل بالاشتراك مع الشركة الأمريكية «رايتون». ومنظومة حيتس المحسنة»[1].

ولكن الإسرائيليين أنفسهم يشككون في جدوى هذه المنظومات المتعددة المضادة للصواريخ، وفي جدوى محاولات منع التهريب:

واقع أكثر قتامة

«لو أن الأسماء الكبيرة كان بوسعها أن توقف الصواريخ لكانت الجبهة الإسرائيلية الداخلية منذ زمن لا تخضع لخطر صوارخ القسام، والكاتيوشا والجراد على أنواعها. «قبة حديدية» و «عصا سحرية» ـ من هو العدو الذي سيتجرأ على إطلاق سلاح صاروخي نحو الجليل والنقب حين تكون إسرائيل مزودة بمنظومات تحمل مثل هذه الأسماء الرائعة؟! غير أن الواقع أكثر قتامة من عقول مخترعي الشعارات الحديد والسحر لا يزالان بعيدين عن حماية إسرائيلي واحد»[2].

هكذا تسخر مني إنجازاتي

بهذه العبارة الساخرة لشكسبير يختم المستشرق الإسرائيلي جي باخور مقاله الذي يعلق فيه على محاولات إسرائيل ـ بشتى الوسائل ـ منع التهريب، فيقول: «إذا كان النبأ عن قصف سلاح الجو قافلة في السودان صحيحًا فهذه أخبار سيئة ؟ لأن معنى الأمر أننا لم ننجح لا في أثناء حملة «رصاص مصهور» ولا بعدها في تحقيق إنجازات دولية، أو دبلوماسية، أو نفسية أو ردعية، تمنع استمرار تهريب السلاح إلى غزة.

---

(١) يوسي ميلمان، وزير الحرب يأمر بشراء منظومة دفاع ضد القسام، هاآرتس، ٢١/ ٤/ ٢٠٠٩.
(٢) أسرة التحرير، عصاة سحر عابثة، هاآرتس، ٤/ ٣/ ٢٠٠٩.

في لبنان نجحنا في أن نقيم ـ نحن إلى جانب العالم ـ بضع آليات رقابة ومنع ؛ ولكن ليس هكذا هو الحال في غزة. مثل هذا الهجوم في السودان هو هجوم يأس، هجوم اللامفر، هجوم من تبقى وحده. فإخراج قافلة أخرى سهل جدًّا. وما كنت لأنفعل أكثر مما ينبغي بالإنجاز: فليس له أدنى صلة بمنع تدفق السلاح إلى غزة أو خلق ردع. هو يدل فقط على ما سبق لشكسبير أن كتب يقول: الويل، هكذا تسخر مني إنجازاتي»[1].

* * *

(١) جي باخور، الهجوم في السودان، يديعوت، ٢/ ٤/ ٢٠٠٩.

obeikandl.com

الفصل الخامس

ضرر ملموس بمكانة إسرائيل الدولية

لقد ألحقت حرب الرصاص المصهور ضررًا بالغًا بمكانة إسرائيل الدولية. يؤكد ذلك آلوف بن، فيقول: «الحملة في غزة أثارت رد فعل دولي حاد للغاية لسببين:

• **الأول**: بسبب التوازن: إسرائيل تكبدت فقط قليلًا من الخسائر نتيجة الصواريخ التي أُطلقت من غزة، وأحدثت هي ـ ردًّا على ذلك ـ قتلًا ودمارًا هائلين.

• **الثاني**: في غزة كان الضحايا فلسطينيين من الذين يحملون مأساة ١٩٤٨، ويعانون من الاحتلال والحصار الاقتصادي، ويتمتعون بعطف العالم.

إلى جانب الضرر الإعلامي، ألحقت الحملة في غزة بإسرائيل ضررًا سياسيًّا أيضًا. وهاهنا قائمة جزئية: العلاقات مع تركيا تلقت ضربة، وسوريا أوقفت المفاوضات غير المباشرة التي أدارتها مع إسرائيل بوساطة الأتراك، ومصر أُهينت من الطريقة التي عرقل فيها أولمرت اتفاق التهدئة في الجنوب، وبوليفيا وفنزويلا قطعتا العلاقات»[1].

إسرائيل أكثر دولة يكرهها العالم

«وجود دولة إسرائيل ـ أجل وجودها! ـ متعلق بالشرعية من قِبل أمم العالم. نُشر

(١) ألوف بن، الحملة التي أعطت الشرعية لحماس، هآرتس، ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٩.

في الأسبوع الماضي أن إيران وإسرائيل هما أكثر دولتين يكرههما الرأي العام في العالم، وما ينقص نتنياهو الآن هو أن يخاصم أحمدي نجاد على المرتبة الأولى فقط»[١].

و«في الفترة الأخيرة تصل إلى وزارة الخارجية تقارير مقلقة من السفارات الإسرائيلية في الخارج عن تآكل في شرعية دولة إسرائيل. ويفيد دبلوماسيون كبار يخدمون في أوروبا بأن إسرائيل توشك على أن تُعتبر في أوساط نخب معينة في أوروبا دولة منبوذة»[٢].

الربط بين إسرائيل والنازية

«في أوروبا: أصبح جزء آخذ في الكبر من يساريي العالم ـ بعضهم من أصدقاء إسرائيل وبعضهم من اليهود ـ أصبحوا يرون الاحتلال الإسرائيلي مظهرًا من مظاهر النازية. إن إسرائيل في ٢٠٠٩ تُذكر أكثر فأكثر بألمانيا في بدء الثلاثينيات. إن عملية سلب الفلسطينيين إنسانيتهم يُذكر بأحداث مخيفة. ويوجد عدد غير قليل من أوامر الجيش الإسرائيلي وقوانين الكنيست التي لو تُرجمت إلى الألمانية لأثارت الذهول»[٣].

تصدع أسطورة السيطرة الإسرائيلية

«أسطورة السيطرة الإسرائيلية على زوافع القوة في العالم ـ بروحية بروتوكولات حكومات صهيون ـ تتصدع مرة تلو الأخرى في ظل واقع القرن الحادي والعشرين. على خلفية تأثير الأقليات الإسلامية المتزايد في أوروبا، والتي تقترب من التعادل مع قوة اليهود السياسية في أمريكا، ربما يجدر بإسرائيل أن تتوقف عن نفي ذلك، والبدء في الاستعداد لهذه المرحلة على أمل أن يعود أحد إلى تصديقها»[٤].

العلاقات مع تركيا في أزمة

كانت العلاقات الإسرائيلية التركية قبل حرب غزة تتميز بتشعبها ومتانتها. ويرجع

(١) إيتان هابر، جهاز سياسي محطم، يديعوت، ١١/ ٢/ ٢٠٠٩.
(٢) أيتمار آيخنر، حملة لتحسين صورة إسرائيل، يديعوت، ١١/ ٣/ ٢٠٠٩.
(٣) جدعون ليفي، ليست هذه محرقة، هآرتس، ٢١/ ٤/ ٢٠٠٩.
(٤) أمير أورون، حنين إلى برتوكولات صهيونية، هآرتس، ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٩.

ذلك إلى الدور الذي تلعبه المؤسسة العسكرية التركية في صياغة التوجهات السياسية لتركيا، وسيطرتها على صنع سياستها الخارجية، فهي حارسة العلمانية، وسادنة العلاقة مع إسرائيل، وتفرض سطوتها على الأحزاب السياسية، وتقف حجر عثرة أمام عودة الوجه الإسلامي لتركيا، وتسيطر على مجلس الأمن القومي التركي.

وأكثر من ذلك، فهناك «علاقة حميمة وعاطفية وشبه أسرية، بين كبار رجالات الجيش التركي ونظرائهم في الجيش الإسرائيلي»[1].

لكن حرب غزة، فجرت غضبًا عارمًا في تركيا، ومظاهرات مليونية شبه يومية في إسطنبول وغيرها من المدن الكبرى التركية. ووقف رئيس وزرائها رجب طيب أردوغان موقفًا صلبًا أعاد إلى الأذهان أمجاد الخلافة العثمانية، ومواقف السلطان عبد الحميد حيال قضية فلسطين. لقد قال أردوغان بعبارات قوية حاسمة في منتدى دافوس: «أنا سليل العثمانيين».

يتحدث عوفر شيلح عن أهمية تركيا لإسرائيل، وتأثير حرب غزة على العلاقة بينهما فيقول: «تركيا تشتري منا السلاح والمعلومات. من الواضح أن المشتريات التركية والعلاقات المتبادلة هي ثروة هائلة بالنسبة لجهاز الأمن الإسرائيلي.

من الواضح أيضًا أن الصخرة الحاسمة بيننا وبين حليفتنا الهامة جدًّا تشهد شرخًا ذا مغزى خطير بالنسبة لأمن إسرائيل، وبصورة تفوق قضية الصواريخ هنا في غزة. إننا قد انتصرنا في الصدام في منطقة العطاطرة. ولكننا قد خسرنا في جبهة أخرى أكثر أهمية: أنقرة»[2].

ملاحقة مجرمي الحرب الصهاينة

«الفزع الذي أصاب الحكومة وهيئة الأركان من خطر تعرض ضباط شاركوا في عملية الرصاص المصهور لدعاوى قضائية في الخارج، يبين أنهم سيُضطرون بعد أعمال القتل والدمار، إلى توفير مظلة لحماية قادة الكتائب في غزة. أسماء هؤلاء القادة نُشرت وبتشجيع من الجيش الإسرائيلي في كل صحيفة وقناة إعلامية. قصف أرشيف حماس لن يجدي نفعًا لأن شبكة الإنترنت حية ترزق»[3].

---

(١) تسفي برئيل، العلاقات الإسرائيلية التركية جدار غير قابل للشرخ، هاآرتس، ٢١/ ٢/ ٢٠٠٩.
(٢) عوفر شيلح، إسرائيل ربحت معركة غزة إلا أنها خسرت معركة تركيا، معاريف، ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٩.
(٣) أمير أورون، من لبنان إلى غزة عاشت الأخطاء الإسرائيلية الجديدة، هاآرتس، ٢٦/ ١/ ٢٠٠٩.

هذه الملاحقة امتدت لتشمل مجرمي الحرب الكبار من ساسة إسرائيل، فلقد صدر بحق تسيبي ليفني أمر اعتقال من محكمة بريطانية مما دعاها إلى الهرب على عجل من بريطانيا. تعليقًا على ذلك، يقول نداف إيال: «عندما يقول مسئولون إسرائيليون صراحة إن على مقاتلي الجيش الإسرائيلي أن يفضلوا دومًا حياتهم على -نياة مواطني العدو، عندما يسعون إلى شطب أحياء كاملة، فإنهم يقصدون صراحة إمكانية تنفيذ جريمة حرب. في النهاية، هذه التصريحات تشق طريقها إلى تقارير دولية كإثبات على السياسة الإسرائيلية، ومن هناك الطريق قصيرة إلى حجرة الاعتقال في المحكمة الجنائية في لندن»[1].

ويسمي الكاتب هذه الملاحقة: «الانتفاضة القضائية، التي تتحول إلى جبهة هامة للصراع الإسرائيلي في العالم».

* * *

(١) نداف إيال، لا تنتظروا لهذا أن يمر، معاريف، ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٩.

obeikandl.com

الفصل السادس

تعزيز مكانة حماس

خرجت حماس من حرب الرصاص المصهور وقد تعززت مكانتها فلسطينيًّا وعربيًّا ودوليًّا باعتراف الصهاينة أنفسهم، يقول زئيف تشرينهل: «يجدر أن نلفت الأنظار إلى حقيقة أن «حماس» قد حظيت رغم هزيمتها العسكرية بعدة نجاحات ستحصدها في المستقبل: حصلت على اعتراف من مجلس الأمن باعتبارها الطرف المسيطر على مقاليد الأمور في غزة. ورغم كونها تنظيمًا عسكريًّا، إلا أنها تخرج من هذه الحرب على صورة الضحية.

السبب من وراء ذلك كان الاستخدام اليومي لقوة نارية هائلة، ربما كانت ضرورية على المستوى التكتيكي، ولكن سرعان ما أدت إلى انقلاب ليس فقط على مستوى الرأي العام العالمي، وإنما أيضًا عند الحكومات الصديقة. يبدو أنه لا يوجد مشاهدون للتلفاز في العالم لم يتأثروا من مشاهد جثث الأطفال والقتلى»[1].

ويقول ألوف بن: «الضرر الأساس الذي ألحقته بنا هذه الحملة كان هو الشرعية التي أعطتها لحماس كحاكم في القطاع»[2].

تعزيز مكانة حماس فلسطينيًّا وعربيًّا

يقول تسفي برئيل: «هذا هو موعد بدء الفصل الجديد في تاريخ حماس. عندما يفكر

(١) زئيف تشرينهل، انتصار ؟ الأمر يعتمد على النتائج السياسية، هآرتس، ١٨/ ١/ ٢٠٠٩.
(٢) ألوف بن، الحملة التي أعطت الشرعية لحماس، هآرتس، ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٩.

الفلسطينيون بالعودة إلى الحوار الداخلي استعدادًا لإقامة حكومة وحدة، واضح للطرفين أن «حماس» خرجت من الأسابيع الثلاثة للقتال معززة القوة بالذات. كبار رجالاتها في غزة باتوا يتجولون في الشوارع، ولا يخشون من تصفية مركزة من جانب إسرائيل»[1]، ويعزو مردخاي كيدار ذلك إلى عدة أسباب أهمها:

١ ـ «السلطة الفلسطينية برئاسة «أبو مازن» اُتهمت بأنها شجعت إسرائيل على ضرب حماس، وهكذا تضعضعت شرعيته نفسها كرئيس للفلسطينيين.

٢ ـ معظم الجمهور الفلسطيني يتهم إسرائيل ـ وليس «حماس» ـ بالتسبب في الخسائر في الأرواح والأملاك.

٣ ـ نظافة أيدي قادة حماس جلب لهم النصر في الانتخابات في يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٦ على منظمة تحرير فلسطين التي تُعتبر منظمة فاسدة وكريهة.

٤ ـ حماس في أعقاب صمودها، عُرضت بصفتها الحركة المقاتلة الأصيلة الوحيدة ؛ بينما عُرضت منظمة تحرير فلسطين كمنظمة عاجزة وعجوز تسير خلف أمريكا.

٥ ـ في أعقاب الحملة، نجحت حماس في أن تموضع نفسها كالمنظمة الأكثر تأثيرًا على انسياسة العربية. وتُعتبر الحركة قوة صاعدة، تهز كراسي الملوك والرؤساء الأكثر تأثيرًا في العالم العربي.

فهل نعجب أن «حماس» تصعد ؟ ليس بعيدًا اليوم الذي تحظى فيه حماس بلقب الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني»[2].

تعزيز مكانة حماس دوليًا

تعززت أيضًا مكانة حماس دوليًا. وأخذت حلقات الحصار الدولي على حماس تضعف بعض الشيء، وتلين شروطها، وإن كان الأمر ليس ملموسًا وليست له دلالة كبيرة حتى الآن. يقول باراك رابيد: «على نحو غير مسبوق سيلقي خالد مشعل خطابًا في بحث مغلق

(١) تسفي بارئيل، عذرًا أن انتصرنا، هاآرتس، ٢٣/ ١/ ٢٠٠٩.
(٢) مردخاي كيدار، هزيمة واحدة وستة أسباب لتعزز حماس، إسرائيل اليوم، ٢٥/ ١/ ٢٠٠٩.

يعقده البرلمان البريطاني، رغم ممارسة الضغوط على مسئولين كبار في البرلمان البريطاني، إلا أنه سيتم كما هو مخطط له.

خطاب مشعل سينقل بالبث الحي والمباشر من دمشق. ولقد حاولت السفارة الإسرائيلية في لندن تجنيد النواب الأصدقاء لإسرائيل لممارسة الضغط من أجل إلغاء الحدث ؛ إلا أن الجهود فشلت»[1].

* * *

(١) باراك رابيد، مسئول حماس مشعل سيخطب بالفيديو أمام البرلمان البريطاني، هاآرتس، ٢١/ ٤/ ٢٠٠٩.

obeikandl.com

الفصل السابع

المكسب الوحيد الذي حققته إسرائيل

تُعد الاتفاقية الأمنية الموقعة في ١٦/ ١/ ٢٠٠٩ بين إسرائيل وأمريكا لمنع تهريب السلاح إلى غزة هي المكسب الوحيد الذي حققته إسرائيل. وذلك للأسباب التالية:

- أوكلت هذه الاتفاقية منع حصول المقاومة على السلاح إلى حلف دولي تشارك فيه الولايات المتحدة وجهات متعددة مثل حلف شمال الأطلنطي والأطراف الإقليمية.
- تتسع رقعة منع تهريب السلاح لتشمل منطقة ممتدة عبر البحر الأبيض المتوسط، وخليج عدن، والبحر الأحمر، وشرق أفريقيا.
- تحسين الآليات القائمة ووضع آليات جديدة لمنع التهريب.
- تشديد العقوبات الدولية، وآليات التطبيق ضد تقديم المساعدة المادية لحماس وغيرها من المنظمات الفلسطينية.

الاتفاقية: رؤية مغايرة

إذا كانت الاتفاقية تعد مكسبًا لإسرائيل، فهي إن نظرنا إليها برؤية مغايرة تُعد خسارة كبرى لها. وذلك للأسباب التالية:

- هذه الاتفاقية اعتراف إسرائيلي وأمريكي بفشل إسرائيل في تحقيق أحد الأهداف الرئيسية لحرب الرصاص المصهور، وفشل الحصار المضروب على قطاع غزة.

• واعتراف أيضًا بعدم قدرتها على وقف تهريب السلاح إلى غزة على الرغم مما تمتلكه إسرائيل من قدرات استخبارية هائلة، وشبكة ممتدة من العملاء والمصالح.

• وتدل على إبداعات العقل الفلسطيني المقاوم الذي يتكيف دائمًا مع أي متغير جديد، فيبتكر من الوسائل والآليات ما تجعله يتخطى العقبات والعراقيل الموضوعة من أعتى قوى الأرض.

• وهي دليل أيضًا على أن سلاح المقاومة وإن كان قليلًا أو محدود المدى والتأثير، فإن له تأثيرًا ردعيًّا كبيرًا على الاحتلال وعلى بقائه ووجوده.

نص الاتفاقية

«إن إسرائيل والولايات المتحدة إذ يعودان بالذاكرة إلى التزام الولايات المتحدة الثابت بأمن إسرائيل، بما في ذلك الحدود الآمنة والقابلة للدفاع، وبصيانة وتقوية قدرة إسرائيل على الردع والدفاع عن نفسها بنفسها من أي تهديد أو مزيج من التهديدات.

وإذ تعيدان التأكيد على أن مثل هذا الالتزام ينعكس على التعاون الأمني والعسكري والاستخباراتي بين الولايات المتحدة وإسرائيل والحوار الإستراتيجي الدائر بينهما، ومستوى ونوعية المعونة التي تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل.

وإذ تدركان أن الحصول على الأسلحة والعتاد واستخدامها من قبل الإرهابيين ضد إسرائيل كانا العاملين المباشرين في وقوع الأعمال العدوانية الأخيرة.

وإذ تدركان ما يهدد إسرائيل من جراء النشاط الإرهابي المنطلق من غزة، بما فيه تهريب الأسلحة ونمو القدرات والسلاح والبُنى التحتية الإرهابية، كما تدركان ما تتمتع به إسرائيل ـ شأنها شأن جميع الدول ـ من حق طبيعي في الدفاع عن النفس، بما في ذلك حقها في الدفاع عن نفسها من الإرهاب من خلال العمل المناسب.

وإذ تدركان أيضًا أن مكافحة عمليات توريد الأسلحة والمتفجرات إلى غزة هي مسعى متعدد الأبعاد، ومحكوم بالنتائج المترتبة عليه، وله مركز إقليمي ومقومات دولية تعمل بالتوازي، وأنه من أولويات المساعي التي تبذلها الولايات المتحدة وإسرائيل لضمان وقف الأعمال العدوانية بشكل دائم ومستمر، فإنهما قد توصلتا إلى التفاهمات التالية :

١ ـ يتعاون الجانبان مع الدول المجاورة وبالتوازي مع غيرها من أعضاء المجتمع الدولي على منع توريد الأسلحة والعتاد للمنظمات الإرهابية التي تشكل تهديدًا على أي من الجانبين، مركزين بصفة خاصة على توريد الأسلحة والعتاد والمتفجرات لحماس وغيرها من المنظمات الإرهابية.

٢ ـ تعمل الولايات المتحدة ـ بالتعاون مع شركائها في المنطقة، وفي حلف شمال الأطلنطي ـ للتعامل مع مشكلة توريد الأسلحة والعتاد وإرساليات وشحنات الأسلحة إلى حماس وغيرها من المنظمات الإرهابية في غزة، بما في ذلك ما يمر عبر البحر الأبيض المتوسط وخليج عدن والبحر الأحمر وشرق أفريقيا. وذلك من خلال تحسين الترتيبات القائمة، أو إطلاق مبادرات جديدة ترمي إلى زيادة فعالية تلك الترتيبات وما يتعلق منها بمنع تهريب الأسلحة إلى غزة. ومن بين الوسائل التي يتم اتباعها، زيادة التعاون الأمني والاستخباراتي بين الولايات المتحدة والحكومات الإقليمية في منع تدفق الأسلحة والمتفجرات إلى غزة والتي تنطلق منها أو تمر عبر أراضيها، متضمنًا ذلك أعمال المؤسسات ذات الصلة ضمن الحكومة الأمريكية، ومنها القيادة الوسطى، والقيادة الأوروبية، والقيادة الأفريقية، وقيادة العمليات الخاصة الأمريكية، زيادة تلاحم الجهد الاستخباراتي مع أهم القوى الدولية، والقوات البحرية للتحالف، وهيئات أخرى مناسبة للتعامل مع توريد الأسلحة إلى غزة. تشديد العقوبات الدولية، وآليات التطبيق ضد تقديم المساعدة المادية لحماس وغيرها من المنظمات الإرهابية، بما في ذلك الرد الدولي على إيران وغيرها من الدول التي تصر على أن تكون مصدرًا لتوريد الأسلحة والمتفجرات إلى غزة.

٣ ـ تساعد الولايات المتحدة وإسرائيل بعضهما البعض من خلال تعزيز عملية تقاسم المعلومات والمواد الاستخباراتية المفيدة في التعرف على مصدر الأسلحة المرسلة إلى المنظمات الإرهابية في غزة، والقنوات التي يتم إيصالها من خلالها.

٤ ـ تعمل الولايات المتحدة على تحثيث جهودها لتقديم المساعدات اللوجستية والفنية وتدريب وتجهيز القوى الأمنية الإقليمية في أساليب مكافحة التهريب، من خلال العمل على تعزيز برامج المعونات التي تعمل بها حاليًا.

٥ ـ تتشاور الولايات المتحدة وتتعاون مع شركائها الإقليميين في توسيع نطاق برامج المساعدات الدولية للمجتمعات المتأثرة بهدف توفير الدخل والعمل البديلين لمن كانوا يعملون في مجال التهريب.

٦ ـ يقوم الجانبان بإنشاء الآليات الكفيلة بالتعاون العسكري والاستخباراتي بغية تقاسم المعلومات الاستخباراتية ومتابعة تنفيذ الخطوات التي تقضي بها مذكرة التفاهم هذه ولتقديم التوصيات بشأن وسائل إضافية تستهدف دفع أهداف مذكرة التفاهم هذه. وفيما يتعلق بالتعاون العسكري، ستكون الآلية المستخدمة هي مجموعة مكافحة الإرهاب الأمريكية الإسرائيلية المشتركة، والمباحثات السنوية لقوات البلدين العسكرية والمجموعة السياسية العسكرية المشتركة.

٧ ـ تخضع مذكرة التفاهم هذه والمتعلقة بالالتزامات السياسية المستمرة بين الجانبين للقوانين والأنظمة المعمول بها في كل من البلدين، بما فيها تلك التي تحكم إمكانية تخصيص الأموال وتقاسم المعلومات الاستخبارية»[١].

الاتفاقية تدخل حيز التنفيذ

شرعت أمريكا في تنفيذ تعهداتها طبقًا لهذه الاتفاقية، وذلك لإحكام الحصار حول قطاع غزة، ومحاولة منع وصول أي عتاد له. واتخذ تحركها مسارين رئيسيين، هما:

مطاردة شحنات السلاح

يقول الصحفي الإسرائيلي ألداد باك: «حرج كبير للسلطات في ألمانيا: سلاح البحرية الأمريكية أوقف قبل عشرة أيام في البحر الأحمر سفينة نقل ألمانية، وكشف على متنها شحنة سلاح كبيرة خرجت من إيران، وكانت مخصصة أغلب الظن لحماس أو لحزب الله»[٢].

الضغط على مصر لبناء الجدار الفولاذي

«بدأت مصر إقامة حائط حديدي ضخم على طول محور فيلادلفيا لحل مشكلة تهريب السلاح ووسائل القتال إلى داخل قطاع غزة. وحسب الخطة المصرية، سيُبنى حائط بطول ٩ ـ ١٠ كم، وبعمق ٢٠ ـ ٣٠ مترًا تحت الأرض. وحسب التقديرات المختلفة، فإن الحائط ـ الذي سيُبنى من الفولاذ ـ سيكون غير قابل للاختراق أو الإذابة.

---

(١) موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية.

(٢) ألداد باك، سفينة ألمانية نقلت سلاحًا إلى حماس، يديعوت، ١٣/ ١٠/ ٢٠٠٩.

النشاط في موضوع الأنفاق جاء في أعقاب ضغط أمريكي على القاهرة لتغيير نمط العمل القائم في المنطقة. كل أسبوع تقريبًا، ينجح المصريون في الكشف عن عدة أنفاق وتدمير أخرى. عدد القتلى الفلسطينيين في الأنفاق يواصل الارتفاع ؛ ولكنّ التهريب متواصل رغم ذلك. مؤخرًا، فحص المصريون عدة وسائل لمكافحة ظاهرة الأنفاق. خبراء أمن أمريكيون تجولوا في المنطقة لمساعدة المصريين في العثور على الأنفاق من خلال استخدام جساسات تحت أرضية.

يبدو أن حل الحائط الحديدي هو الذي أُقر. إلى أن يُستكمل البناء، سيتواصل التهريب عبر الأنفاق والذي يزود القطاع اليوم بقسم كبير من البضائع المدنية إضافة إلى وسائل القتال. حتى بعد إقامة الحائط، لا يوجد يقين بأن التهريب سيتوقف تمامًا»[1].

* * *

(١) آفي يسسخروف، مصر تبني عائقًا من الفولاذ في عمق محور فيلادلفيا لمنع التهريب، هآرتس، ٩/١٢/٢٠٠٩.

obeikandl.com